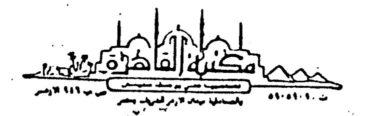
من تراث ابن عربى

الدُرَّةُ البيضاء

محيى الدين ابن عربى

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م



بمكتبة القاهرة

علي يوسف سليمان

ت: ٥٩٠٥٩٠٩ - ٥١٤٧٥٨٠

ص.ب ٩٤٦ العتبة

القاهرة - الأزهر

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذى فتق عيون قلوب المصطفين من عباده. فأبصروا مشاهد حقائق الأسماء والصفات من وراء حجابه. وألهمهم رشدهم فيما قالوه أو كتبوه. وجعلهم قدوة صالحة لمن اتبعهم فيما أرادوه. وأفاض على كل من مواهبه قدر طاقته واستعداده. وختم الانبياء والمرسلين بسيد خلقه وعباده. واشهد ان لا إله إلا الله المنزه عن القيد والإطلاق. لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير الخلاق. واشهد ان سيدنا ومولانا محمداً ﷺ عبده ورسوله ينبوع المعارف والحكم. العقل الأول والبدء الذى به ختم. وعلى آله وصحبه أولى المعارف والهمم. (وبعد) فهذه رسالة لسيدنا ومولانا الاستاذ الأعظم. ختم الولاية الأكرم. من هو الكل المنطوى تحته كل فرد معظم. سيدى محيى الدين ابن العربى الحاتمى الطائى. المسماة «بالجواب عن مسألة الدرة البيضاء» وهو العقل الأول المسمى بالبرزخ الجامع بالحضرة الواحدية والتعين الأول. الذى

هو أصل البرازخ ولذا يسمى البرزخ والأكبر والأعظم. حملنى على نشرها حبى أن ينتفع بها. أسأل الله بكرمه وجوده. أن يحقق ظنى فيما أريده. وأن يغفر لى وللمسلمين، ويحشرنا فى زمرة عباده الصالحين. والحمد لله رب العالمين.

الناشـر

بسم الله الرحمن الرحيم

الله الوجود المطلق

١– اعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الوجود المطلق، لا عن عدم، بل وجب وجوده لنفسه، فلم يزل موجودًا ولا يزال واحدًا في ذاته، له الأسماء الحسنى والصفات العليا، ولا يتعدد بأسمائه وصفاته، فإن الواحد بذاته لا يتعدد بما يقوم به من المعاني وإنما تتعدد الذات القائمة بنفسها بكونها تقبل القسمة فتكون ذات أجزاء فيدخلها العد .

الصفة

٢– والصفة ليست بجزء لموصوفها، وهو سبحانه وتعالى ليس بمادة ولا في مادة بل هو غني قائم بنفسه غير متحيز(١) ولا قابل للحدثان، فثبت وجوده تعالى ولا عين موجودة سواه، فكل ما سواه (فهو)(٢) موجود به، وهو فعله وخلقه وصنعته .

ووجود ما هو موجود موقوف على إرادته التي هي مشيئته سبحانه وقدرته وسابق علمه، ولا يصح أن يكون الموجود المقيد

(١) كذا بالأصل.

(٢) كذا بالأصل ولعلها «هي».

موجودًا إلا عن عدم. فإنه كان لا يكون (ممكنًا)(١) وهو ممكن وكان لا يكون موجودًا لهذا الواجب وهو موجود له، ولم يعمل فيه سوى إيجاد عينه. أى أنه مفتقر إليه تعالى فى إيجاد عينه لا فى عينه، لأن عينه الثابته غير مجعولة فى ثبوتها فليست بجعل جاعل، إذ لا جعل فى الأزل.

الوجــود

٣- .. ثم قال قدس (الله)(٢) سره: فلابد أن يكون وجود هذا الممكن عن عدم - يعنى لم يكن ثم كان - فإن الممكن هو الذى ليس فى حقيقته أن يمتنع من الوجود كالمحال ولا من العدم كالواجب، فهو جائز أن يكون موجودًا وجائز أن يكون معدومًا، وجائز إذا كان موجودًا أن يعدم وجائز إذا كان معدومًا أن يوجد، فيفتقر بالضرورة إلى المرجح ولابد أن يكون المرجح غير ممكن مثله لكون الممكن يفتقر إلى مرجح وذلك محال لأن المعدوم لا يرجح شيئاً، فلابد أن يكون المرجح واجب الوجود لنفسه وهو الله سبحانه ولا يصح أن يكون هذا الممكن واجب الوجود بالله تعالى فيكون معه أزلاً.. والممكن يستحيل وجوده أزلاً لأنه لا فائدة لواجب الوجود إلا أن يكون «لا عن عدم»،

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) سقط اللفظ من المطبوعة.

وحقيقة الممكن لا تقبل الوجوب العقلى ولا تقبل الوجوب المقيد الذى يقال عنه واجب بغيره.. ومن المحال تعلق الإرادة بالموجود وإنما تتعلق بالمعدوم، وإذا تعلقت ببقاء الموجود فبقاء الموجود لم يقع فهو مستأنف والممكن هو الذى يتصور عدمه ووجوده على السواء من غير ترجيح لنفسه فإنه لو رجح لنفسه الوجود على العدم لم يخل أنه يرجح نفسه وهو موجودٌ أو معدوم، فإن رجح وجوده وهو موجود فما الذى رجح، ومن المحال أن يرجح وجوده وهو معدوم فإن المعدوم ليس بشىء فلا يتصور حكم منه عقلاً.

الممكن

٤- .. فإذا رأينا الممكن قد ترجح له أحد الجائزين علمنا ذلك من مشيئة مرجحة وأن مرجحه لابد أن يكون واجب الوجود مريداً لإيجاد هذا الممكن والواجب الوجود هو الذى لا يتصور عدمه عقلاً، كما أن المحال لا يتصور وجوده عقلاً وليس يلزم من كون المشيئة واجبة الوجود أن هذا الممكن الذى تعلقت به لم يزل معها فيكون أزليًا بأزليتها هذا لا يلزم فإن الإرادة قد ثبت أنها لا تتعلق إلا بمعدوم فإذا وجد المعدوم لم تتعلق الإرادة به من كونه موجوداً فقد ثبت له العدم أصلاً وإنما تتعلق عند وجوده ببقاء وجوده وهو معدوم أو يعدم فى الزمان

الثانى زمانًا مقدراً أو واقعًا أى زمان كان وهو أيضًا معدوم فإن العين موجودة فلابد أن يكون كل ممكن وجوده عن عدم أصلاً.. وكذلك القدرة يزول تعلقها بالوجود لأنها إنما تتعلق لتوجد وما بقى تعلق لهذا الوجود إلا بخلق الأعراض التى بها بقاؤه، فلا يزال يجدد له ذلك ولهذا لا يزال البارى تعالى خالقًا أبداً فى الدنيا والآخرة.

العقل وهو الجوهر

٥- .. ثم اعلم أن الله تعالى لما أوجد هذا العقل وهو جوهر(١) فرد قائم بنفسه متحيز فى مذهب وغير متحيز فى

(١) بداية فكرة الجوهر لم تكن من بنات أفكار فلاسفة المسلمين وحدهم، وكانها شجرة نشأت فى بيئة إسلامية خالصة بلا جذور قديمة، بل هى فكرة يونانية المنبت ثم نقلت إلى البيئة الإسلامية، وحدث لها نوع من التطعيم بالأفكار والمفاهيم والعبارات الإسلامية.

وأما عن تعريف الجوهر فنبدأ بالكندى بوصفه أول فلاسفة الإسلام وأولاهم عند البعض فنرى أنه يعرفه بقوله: «الجوهر هو القائم بنفسه، وهو حامل للاعراض، لم تتغير ذاتيته، موصوف لا واصف، ويقال هو غير قابل للتكوين والفساد. ويعرفه أيضًا فى موضوع آخر: «وبعد أن نعلم لواحق الجوهر المميز له من غيره، التى هى أنه القائم بذاته، الذى لا يحتاج فى ثباته إلى غيره الحامل للاختلاف. انظر: رسالة الكندى فى حدود الأشياء ورسومها، ضمن مجموع رسائله (١/ ١٦٦).

ونورد رأى الإمام الأشعرى رحمه الله الذى كان إمامنا ابن عربى تابعًا =

= لعقيدته فقد أجمل الأشعرى عدة معان للجوهر وذلك متضمن فى أربعة أقاويل يعبر عنها قائلاً: «فقالت النصارى، ولعله يقصد السريان، الجوهر هو القائم بذاته وكل قائم بذاته جوهر. وقال بعض المتفلسفة: الجوهر هو القائم بالذات، القابل للمتضادات. وقال قائلون: الجوهر هو ما إذا وجد كان حاملاً للأعراض وصاحب هذا القول هو الجبائى. وقال الصالحى: الجوهر ما احتمل الأعراض، وقد يجوز عنده أن يوجد الجوهر، ولا يخلق الله فيه عرضًا، ولا يكون محلاً للأعراض، إلا أنه محتمل لها» انظر: مقالات الإسلاميين لأبى الحسن الأشعرى (٢ / ٨).

ويعرفه الغزالى بقوله: «الجوهر اسم مشترك، يقال جوهر لذات كل، كالإنسان، أو كالبياض، فيقال: جوهر البياض وذاته، ويقال جوهر لكل موجود، وذاته لا تحتاج فى الوجود إلى ذات أخرى تقارنها، حتى يكون بالفعل، وهنا معنى قولهم: «الجوهر قائم بنفسه». انظر: معيار العلم لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى،أخرجه أحمد فى المسند حديث (٣٥٢٨)، وابن حبان فى صحيحه (٣ / ٢٥٣)، والهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠ / ١٣٦) من حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحداً همّ ولا حزن قط فقال: اللهم إنى عبدك وابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك، ماض فىّ حكمك، عدل فىّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب، عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله عز وجل همّه وأبدله مكان حزنه فرحًا قالوا يا رسول الله: ينبغى لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات قال: أجل ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن. قلت: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار إلا أنه قال وذهاب غمى مكان همى، والطبرانى، ورجال =

مذهب وهو الأصح تجلى له بذاته فأفاض عليه المعلومات كلها فعلمه متعلق بجميع المعلومات إلا علمه بالله تعالى فإنه ما أحاط به علمًا البتة لكن لا يزال الله تعالى يفيض العلم عليه منه أبداً وهو يقبل وبهذا يطلق عليه الاستفادة لا من جهة علوم الكون فإنه قد علمها ومحال أن يعلم الله تعالى على الإطلاق وقد أشار إلى هذا ﷺ فقال: «إني اسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك»(١).

فقوله «أو استأثرت به»: هو ما أردنا فهذا الموجود اختلفت الأسماء عليه والألقاب.

= أحمد وأبى يعلى رجال الصحيح، غير أبى سلمة الجهنى وقد وثقه ابن حبان، وأخرجه الحاكم المستدرك (١/ ٦٩٠)، والطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٦٩)، وكتاب الدعاء (١/ ١٦٣)، ومسند الشاش (١/ ٣١٩)، والحافظ المنذرى (٢/ ٣٨٢)، والفردوس بمأثور الخطاب (١/ ٤٦٦)، تحفة الأحوذى (٩/ ٣٣٧)، وفيض القدير (٢/ ٤٧٨)، وشرح النووى (١٧/ ٥)، وتلخيص الحبير (٤/ ١٧٥)، وسبل السلام (٤/ ١٠٨).

(١) حديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الدعوات باب الثناء على الله (١٧).

العقل

٦- فمنهم من سماه العقل.. قال رسول الله ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر**»[١]. فأقبل بالاستفادة وأدبر بالإفادة ولكن ادباره إقبال وذلك أن الاسم الذى قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فأخذه اسم آخر وإنما أعطى فى أول نشأة الإقبال والإدبار، لكون الوجود

---

(١) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/٢٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله عز وجل العقل قال له قم فقام فقال له أدبر خلفك فادبر ثم قال له: اقعد فقعد، فقال له وعزتى ما خلقت خلقًا خيرًا منك ولا أكرم منك ولا أفضل منك، ولا أحسن، بك آخذ وبك أعطى وبك أعرف وبك الثواب وعليك العقاب» وفيه الفضل بن عيسى الرقاشى وهو مجمع على ضعفه.

ومن حديث أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله العقل قال له: أقبل فاقبل، ثم قال له: أدبر فادبر، فقال وعزتى ما خلقت خلقًا أحب إلىَّ منك، بك آخذ، وبك أعطى، وبك الثواب، وعليك العقاب» رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه عمر بن أبى صالح قال الذهبى: لا يعرف.

وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٤/١٥٤)، والحكم الترمذى فى نوادر الأصول (٢/٣٥٣)، والزهد لابن أبى عاصم (١/٣٢٠)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/٣٢٣)، والفردوس بمأثور الخطاب (١/١٣)، وميزان الاعتدال فى نقد الرجال (٢/٣٢٧)، وفيض القدير (٤/٥١٠)، ولسان العقيلى (٣/١٧٥)، ونقد المنقول (١/٦٠)، والعجلونى فى كشف الخفاء (١/٢٧٥)، والمنار المنيف (١/٦٦).

عليهما انبنى وهما القبضتان والحقيقتان الحاكمتان على العالم بالسعادة والشقاوة ومن هذا الإقبال والإدبار ظهرت الجنة والنار والقبض والبسط والألم واللذة والعدم والوجود فإنه ليس ثم إلا اثنان وكل ما زاد على اثنين فإنه يرجع إلى الاثنين ولابد، إذا نظرت فيه، وكذلك الثلاثة وغيرها فاعلم ذلك فإن الوجود كله محصور فى حقيقة القبضتين ولهذا خرج النبى ﷺ بالكتابين[١]، وكذلك الحقائق كلها صفة وموصوف وما منه شىء إلا وله مقابله.

القلم

٧- ومنهم من سماه أيضًا القلم.. قال تعالى ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: ١][٢] وقال النبى ﷺ: «**أول ما خلق الله تعالى القلم**

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه أبوا داود (٤ / ٢٢٥) أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة»، والترمذى (٤ /٤٥٧)، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٧ / ١٩٠). قلت: رواه الطبرانى ولم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل، قلت: ومؤمل ثقة كثير الخطأ وقد وثقه ابن معين وغيره وضعفه البخارى وغيره، وبقية رجاله ثقات، وأخرجه البيهقى فى الكبرى (١٠ / ٢٠٤)، ومسند الربيع (١ / ٣٠٢)، وابن أبى شيبة (٧ / ٢٥٩)، ومسند البزار (٧ / ١٣٧)، ومسند الشاميين (١ / ٥٧)، والمعجم الكبير=

وخلق اللوح فقال له اكتب فقال : يا رب وما أكتب وهذا مما يدل على عجزه وافتقاره – **فقال له ربه تعالى : اكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة فجرى القلم بما أمره به سبحانه** » .

وهذا يدل على أن القلم كان قد أعلمه الله ذلك وما توقف إلا من حيث لم يدر أى فن يكتب من فنون العلم الحاصل عنده فلما عينه جرى على حسب ما علمه ولو لم يحتج إلى علمه أصلاً فأى فائدة لتوالى الفيض عليه واستمراره أبداً ثم لتعلم بعد هذا أنه مع هذه المرتبة يطلب ربه كما تطلبه أنت ولكن من حيث قوته التى جبله الله عليها لا من حيث قوتك .

الروح

٨– . . ومنهم من سماه الروح الكلى . . قال الله تعالى : ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** ﴾ [الحجر : ٢٩] . فاضافه إليه اضافة تشريف لأنه نفس البارى تعالى ، وقال تعالى : ﴿ **قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾ [الإسراء : ٨٥] . وهذا مما يدلك على أنه

= (١٢/ ٦٨) ، واعتقاد أهل السنة (٢/ ٢١٨) ، والقدر (١/ ١٢١) ، والسنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٠١) ، وتحفة الأحوذى (٦/ ٣٠٧) ، وابن كثير فى تفسيره (٣/ ٢٣٥) ، وتفسير الطبرى (٢٥/ ٤٨) وتفسير القرطبى (١/ ٢٥٨) .

يطلب الله طلب شوق وإنما هو الكلى لأن جميع مقامات العالم محصورة فيه ومنه تنبعث وإليه ترجع وهو السبب الأول لإيجاد الأعيان والأرواح كلها.. وأصل هذا الاسم له من وجهين الوجه الواحد لكونه روح أى فى نعيم وسرور وراحة بعلمه ومشاهدته إياه، والوجه الآخر أنه راح فى فسيحات أفلاك معرفة خالقه لقوة ما وراح فى مراتب الأكوان بما يلقى إليها مما وكله الله به، وراح فى معرفة نفسه بما هو فقير إلى ربه وموجود فله ثلاث روحات فيمكن أنه سمى لهذا روحًا كليًا لأنه ما ثم مرتبة رابعة زائدة على هذه تُراح فيها، فكأنه أمر من راح يروح والأمر منه «رُح» فلما نقل من الأمر إلى الاسم ردت عليه الواو كما دخلت عليه الألف واللام فإن حذف الواو منه كان لالتقاء الساكنين فكأنه إذا طلب من جهة قيل راح إلى جهة أخرى كما ذكرنا.

الحق المخلوق

٩- .. ومنهم من سماه الحق المخلوق به وهو الذى ارتضاه بعض العارفين وهو (أبو الحكم بن برجان) من قول الله عز وجل ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقوله ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]،

وإنما سماه الحق المخلوق به لكون الحق من أسماء الله تعالى وليس بمخلوق ومعنى مخلوق موجود عن عدم ومقدر وكلاهما صحيح عليه.

العدل

١٠- .. ومنهم من سماه العدل وهو الذى ارتضاه (أبو عبيد الله سهل بن عبد الله التسترى)(١) فقال إنه روى أنه

(١) هو سهل بن عبد الله التسترى، من الطبقة الثانية وكنيته أبو محمد. من أكابر القوم وعلماء هذه الطائفة.
كان إمامًا ربانيًا يتعين الاقتداء به، وكان حاله قوية، وهو من تلامذة ذى النون المصرى، وصحب خاله محمد بن سوار، وكان من أقران الجنيد.
مات قبل الجنيد فى المحرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وكان عمره ثمانين سنة.
سئل سهل: ما علامة الشقاوة؟ قال: «أن تُعْطى العلم، ولا تعطى توفيق العمل، وتعطى العمل ولا تعطى الإخلاص، وتعطى صحبة الصالحين والعارفين ولا تعطى القبول».
وقال سهل: «أول هذا الأمر علم لا يدرك، وآخره علم لا ينفد».
وأيضًا: «ما دمت تخاف الفقر فأنت منافق».
وأيضًا: «الصوفى الذى لا ينتفع أحد من قلبه لا يحصل منه الفلاحُ».
وأيضًا: «من أصبح ولا يكون همه إلا ما يأكل فليس من الرجال».
وأيضًا: «الشيطان يفرُّ من الجائع النائم».
وقال: «طوبى لمن يطلب أولياءه تعالى! إن وجد أولياء وجد النور، وإن مات فى طلبه وجد شفيعاً». =

بالعدل قامت السموات والأرض، وقال الله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ** ﴾ [الرحمن: ٩] وهو العدل، وقال تعالى ﴿ **وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ** ﴾ [الإسراء: ١٠٥] أى العدل وهو أول من قبل صورة العدل لأنه عدل عن نفسه إلى بارئه تعالى.

الإمام المبين

١١- .. ومنهم من سماه « الإمام المبين » و « اللوح المحفوظ » قال الله تعالى: ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴾ [يس: ١٢] وهذا الموجود هو الذى أحصى فيه كل شيء..

وقال تعالى: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢] وهذا الموجود لوح من حيث أنه كتب الحق فيه كل شيء ومحفوظ عليه ما عنده من التنزيل.

= انظر ترجمته فى: حلية الأولياء (١٠/ ١٨٩-٢١٢)، صفة الصفوة (٤/ ٤٦)، طبقات الصوفية (٢٠٦)، وفيات الأعيان (١/ ٢٧٣)، اللباب (١/ ٧٦)، المنتظم (٥٠/ ١٦٢)، مرآة الجنان (٢/ ١٤٨)، شذرات الذهب (٢/ ١٨٢)، نتائج الأفكار القدسية (١/ ١٠٩)، الفهرست (١/ ١٨٦)، الكواكب الدرية (١/ ٢٢٧)، معجم المؤلفين (٤/ ٨٤)، النجوم الزاهرة (٣/ ٩٥)، جامع كرامات الأولياء (٢/ ٣٥)، تذكرة الأولياء (١/ ٢٢٧).

اللوح هو النفس

١٢- .. ونزعت طائفة إلى أن اللوح هو النفس وهذا هو القلم وسنبين ذلك إن شاء الله تعالى، وأوصافها كثيرة لا يحصيها إلا خالقها وكل واحد اعتبر أمر، إما فيه فاطلق عليه لفظًا من باب ما اعتبر فيه فالبارى سبحانه هو القديم الأزلى العالم المريد القادر الذى لا يمتنع عن قدرته ممكن، الموجود لا عن عدم، الباقى بنفسه الذى له الكمال المطلق والتمام المحقق، وهذا الموجود الذى هو العقل المقيد وجوده بالعدم الموقوف على حكم المشيئة الذى لم يكن ثم كان، لم يزل منذ وجدت عينه يقبل الفيض الإلهى والجود المرسل بلطائف الغيب فإن فيض الله تعالى لا يتصور فيه مسك ولا قبض ولا انقطاع وهو يتنوع بتنوع المحال فيكون نوراً فى المنور وظلمة فى المظلم ولونًا فى المتلون وحركة فى المتحرك، وعلمًا فى العالم، وإرادة فى المريد، وحفظًا فى المحفوظ .. فافهم ما أشرنا إليه ولو هناك[1] مسك عن موجود ما لم يكن اسم الجود فيما أُعطى بأولى من اسم البخل فيما أمسك ..

فمن قال: لم يعط، فإنه يكذب فقد أُعطى وهو لا يعلم وقد

---

(١) كذا بالأصل ولعلها «ولو أن هناك».

أعطاه الجود أن يريد ما لا تقتضي حقيقته التي هو عليها في الوقت قبوله، فما هناك منع أصلاً، ولهذا الموجود وغيره البقاء بإبقاء الله لا ببقائه فإن الممكن باق بابقاء مرجحه لا ببقائه لأنه لو كان بقاؤه ببقاء الله (لزم)(١) أن يكون معه أزلاً ولو كان معه أزلاً لكان واجب الوجود ولم يكن ممكنًا وهو ممكن في نفسه فلابد أن يكون باقيًا بإبقاء الله وعلة بقائه هو امداد الله عز وجل أبداً بحفظ وجوده عليه وتلقى العلوم والمعارف منه والمرجح وهو البارىء تعالى ليس بمجبور على الإمداد وإنما هو مختار يفعل ما يشاء، فإن علمنا أنه قد شاء الابقاء أبداً فإن مشيئته لا تتبدل لسابق العلم كما قال تعالى ﴿ **لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ** ﴾[يونس: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ **مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ** ﴾ [ق: ٢٩] وقال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ** ﴾ [الزمر: ١٩]، فلا سبيل إلى معرفة بقاء هذا العقل وجميع الممكنات التي يجوز بقاؤها إلا (حتى)(٢) يعرفنا بذلك، ولا يوصل إلى معرفة ذلك بالبرهان أصلاً.. وكل من ادعى أنه علم بقاء الممكنات من طريق البرهان فلينظر في برهانه فإنه شبهة

---

(١) كذا بالاصل ولعلها «للزم».

(٢) كذا بالاصل وهو خطأ دائمًا.

وليس ببرهان فإذا كان الأمر على ذلك فكان بقاؤه بحفظ الله تعالى وإمداده كما يبقى الجسم بعرضه فلو أمسك عنه خلق العرض لعدم، فقد ثبت افتقاره إلى البقاء وقد ثبت له الوجود بظهوره فى عينه وثبت له البقاء بالشرع.

التمام

١٣– فبقى لنا التمام فهو أيضًا تام فى نفسه ومعنى أنه تام قبوله لفيض موجده عليه ما يفيضه على التوالى من غير أن يعجز عن قبول شىء مما يفيضه عليه فقد علمنا أنه لو لم يكن له استعداد تام لعجز عن قبول أمر ما ولا يعجز فالله قد أتم خلقه.

وله أيضًا الكمال من حيث أن كل شىء فيه بالفعل أى العلم والقوى بجميع الأشياء موجودة فيه لأنه مستعد لقبولها بل هى فيه وهذا مما يدلك على أنه محدث لم يكن ثم كان لأنه قد صار محلاً لما يخلق الله فيه وهى الحوادث وهو لم يخل عنها منذ وجدت عينه، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث مثلها.

الموجود

١٤– .. ثم اعلم أن هذا الموجود هو الذى يُعْطَى الأشياء

على الطول والعرض ومعنى الطول والعرض فيه ما يعطى الأرواح مما به صلاحها وبقاؤها..

ومعنى العَرَضْ: ما يُعطى الأجسام مما به بقاؤها مع تنوع الحالات عليها كما تتنوع المعارف على الأرواح وطوله وعرضه على التساوى فى الوجوه فإن له مائة ألف وثمانين ألف وجه فى طوله ومائة وثمانين ألف وجه فى عرضه، لكل وجه أربعة وعشرون ألف صورة مع كل صورة رقائق لا يعلم عددها إلا الله، لكل رقيقة قوى لا يعلمها إلا الله صاعدة ونازلة فى تلك الرقائق من هذا العقل، يخلق الله عند نزولها وعند صعودها ما يحدث فى العالم أسفله وأعلاه من كل شىء وهذه التى تسمى المعارج.. قال الله تعالى: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾ [المعارج: ١]، وهو النزول وهكذا الرحمة ثم قال للكافرين (**ليس له**) من الله ﴿**دَافِعٌ**﴾ [المعارج:٢]، لكونه هو الخالق عندها إلا بها ثم قال﴿**ذِي الْمَعَارِجِ**﴾[المعارج:٣]،وهى الرقائق﴿**تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ**﴾ [المعارج:٤]، وهى القوى الروحانية التى ذكرناها ﴿**وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾ [المعارج:٥]، وهو الموجود الأول الذى ذكرناه.. فما أعجب القرآن لمن نور الله بصيرته واصطنعه لنفسه.

---

(١) كذا بالأصل.

المعرفة الربانية

١٥- .. ولما كان الأمر صعوداً ونزولاً كان الأمر دوريًا كروى الشكل مثل الدولاب وكذلك الآخرة يدور نعيمها فيها على مقدار الدنيا بصور مختلفة غير متناهية لا تشبه صورة أختها أبداً، يدور على كل إنسان نعيمه أو عذابه فى أهل النار على قدر عمرهم وينعطف عليهم متضاعفًا ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا** ﴾ [النساء: ٥٦]، وقال ﴿ **وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [يونس: ١٠]، ويرجع إلى الأول، فأول الدعوى «لا إله إلا الله» وآخرها «الحمد لله» وما بينهما تكبير وتسبيح وتحميد وغير ذلك وهكذا فى كل شىء أدوار وأكوان(١)، ومعرفة الإنسان بنفسه معرفته بربه دوريًا فإنه كلما عرف صفة من نفسه عرف صفة من ربه ثم نزل إلى نفسه إلى معرفة أخرى منه يصعد بها إلى معرفة أخرى من ربه بما تدل عليه المعرفة النفسية ثم تنزله تلك المعرفة الربانية بما عنده من الافتقار إلى الزيادة هكذا ولذلك قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤]، وهكذا المعرفة بالحضرة الإلهية من فعلها إلى صفتها إلى ذاتها ثم يدور الدور فى هذه الثلاثة

(١) كذا بالأصل.

وتتنوع المشارب فمهما انعطفت رقيقة من تلك الرقائق عن موجود تلقته رقيقة أخرى وانتقلت تلك الرقيقة إلى موجود آخر دائرة هكذا كما تمشى في الماء والهواء إذا اختلبت موضعًا – أى قطعت – اختلبت موضعًا آخر لك وانتقل عامره إلى موضعك الذى كنت فيه تَعْمُرُهُ.

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:٧٣]، فما عَمَّر شيء محلاً إلا أخلى غيره فتفطن لدور الحياة والموت فإنه عجيب أى لأنه واقع فى كل نفس دائمًا ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة:٢٥]، وقد قال ﷺ: «**أرواح الشهداء فى حواصل طير تعلق من ثمار الجنة**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٣/١٥٠٢)، والترمذى (٤/١٧٦)، والدارمى (٢/٢٧١)، وأحمد فى المسند (٦/٣٨٦)، وكتاب السنن (٢/٢٥٧)، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/٩٠)، والبيهقى فى الكبرى (٩/١٦٣)، وابن أبى شيبة (٤/٢١٥)، وعبد الرازق فى المصنف (٥/٢٦٥)، ومسند الحميدى (١/٦٦)، ومسند الطيالسى (١/٣٨)، والطبرانى فى المعجم الكبير (٩/١٨٣)، واعتقاد أهل السنة (١/١٧٠)، والعظمة (٣/١٠٦٦)، والزهد لهناد (١/١٢١)، والفردوس بمأثور الخطاب (١/٢٣٨)، والتمهيد لابن عبد البر (١١/٦٠)، وشرح الزرقانى (٢/١١٦)، وشرح النووى على مسلم (١٣/٢١)، وتنوير الحوالك (١/١٥)، والديباج (٤/٤٨٤)، وفيض القدير (٢/٤٢٢)، وشرح السيوطى (٤/١٠٩)، والجهاد لابن المبارك =

وقال تعالى فيهم ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] والجسم آلة موصولة والنفس تفرح وتحزن وقال تعالى فيهم ﴿أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤] فجاء بلفظ الشعور تنبيهًا على أن الأمر خفى ومن هنا تعرف أن العدد الذى يومى(١) فى الإنسان فى النفوس والقوى وشبه ذلك إنما يرجع ذلك للعين الواحدة(٢)، ولا تنقسم بل هى جوهر فرد متحيز قابل لهذه الأوصاف فإذا جذبت سميت جاذبة وإذا أمسكت سميت ماسكة وهذا فى جميع الأحكام التى للإنسان وربما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى موضع آخر مستوفى.

قدرة العقل

١٦- .. واعلم أن هذا العقل الأول الصادر من الله تعالى وحده وصدور الأشياء على التوالى ما ذلك لما يقتضيه وجود الحق وأنه مثلاً لا يمكن أن يصدر عنه إلا واحد وأن هذا مُحال

= (١/٥٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/٣٨١)، وتهذيب التهذيب (١٢/٣٣٢)، وتهذيب الكمال (٣٤/٤٧١)، وتهذيب الأسماء (٣/٢٢٠)، وتفسير القرطبى (٤/٢٧٣)، وتفسير الطبرى (٢/٣٩)، وتفسير ابن كثير (١/٤٢٨).

(١) كذا بالأصل.

(٢) بالأصل «العين واحدة».

ولكن أراد ذلك وشاء ولو شاء أن يوجد العالم كله دفعة واحدة ولا يتوقف شيء على شيء لما كان ذلك على الله بعزيز، ولو شاء الله أن يخلقهم في الآخرة دون الدنيا وينزل كل منزول منزلة ومسكنه من غير تكليف سابق لم يكن ذلك عليه بعزيز لما ذكرناه من كونه تعالى مريداً وكون العالم ممكناً فإن ما أوجده يعني العقل الأول وحده[1] اختياراً منه سبحانه وسبق مشيئته ولا يحكم بذلك أي بكونه خلقه الله وحده إلا حتى يقول الشارع أن الله خلق واحداً حينئذ فهذا المخلوق وإن كان واحداً من حيث ذاته إلا أنه لابد أن يخلق معه في حال خلقه صفته التي هي مشروطة بوجوده في عينها لا من الجملة فإذا لم يخلق واحداً وإنما خلق خلقين أو ثلاثة بما خلقه الله عليه من الصفات فإذا جاء الشارع بأنه خلق واحداً فمعناه أنه خلق واحداً قائماً بنفسه فليرجع لكونه تعالى مختاراً.

الموصوف بالقدرة

١٧- .. ونقول على حد ما قررناه أنه لا معنى للقدرة إلا تعلقها بكل ممكن لذاتها وليس في حقيقة الممكن أن يمتنع

(١) بالأصل «واحدا».

بنفسه عنها فلما رأينا أن الممكن ليس من حقيقته الامتناع ورأينا القدرة تتعلق لذاتها ولم نر الممكنات وقعت بأسرها دفعة واحدة علمنا على القطع أن الموصوف بالقدرة لو لم يكن مختارًا مريدًا قد سبق فى علمه وجود ذلك الواحد لا وجود الكل دفعة واحدة لما تصور هذا فقلنا أنه مريد مختار يفعل ما يشاء كما قال تعالى: ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ [البروج:١٦]، وقال ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾، وقال ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي** ﴾ [السجدة:١٣]، وهو سبق المشيئة والعلم، لا فاعل فى الوجود إلا هو.

صفة العقل

١٨– .. ثم اعلم أن معنى قول من قال (أن الواحد لا يصدر منه إلا واحد) فليس كما تخيله مخالفو أهل الحق المطموسة بصائرهم عن الاستبصار بنور الشرع والعقل السليم حيث تحكموا فى معرفة موجودات لا يصح إدراكها إلا بطريق الكشف وإخبار الصادق عن الله لا غير، لا بالفكر كما زعموا فيما قالوه إن الله واحد من كل وجه أى ليس له صفة البتة فلا يصدر عنه إلا ما تعطيه الوحدانية وهو واحد ثم جعلوا ذلك الواحد معه أزلاً ونفوا أن يكون الله خالقًا له.. ثم قالوا: وذلك

الواحد الذى صدر عنه هو ممكن وهو ثلاثة باعتبارات مختلفة وذلك أنه عقل نفسه وعقل صانعه وعقل أنه ممكن.. ومن عمى بصائرهم أنهم ما تفطنوا أن هذا يلزمهم فى حق الموجود المطلق وهو أنه عـقل نفسـه وعـقل أنه واجب الوجـود وعـقل هذا (الموجود المقدور)(١)، إن بحثوا ويزيد لهم عقل صانعه أن يعقل أنه واجب كما لا يتمكن أن يقتصر أنه عقل رابع وهو أنه عقل صانعه واجب لأنه لا يلزم إذا عقل نفسه.. حتى قالوا: وعقل أنه ممكن فأثبتوا مرتبة ثالثة فيلزمهم الرابعة لزومًا صحيحًا بعقل هذا ممكنًا فتكون أيضًا أربعة فتوجد عنه أربعة أشياء لكل واحد واحد، وهذا هذيان طويل لا تحصيل له.

أنواع الصفات

١٩- .. فاعلم أنا نقول: إن الصفات على قسمين:-

- صفات ذات..
- وصفات معنى..

(فصفات الذات) هى التى لا تعـقل الذات إلا بهـا لأنهـا نفسها ليست شيئًا زائدًا.

و**(صفات المعنى)** هى التى تعقل الذات ولا هى والعلم بذات

(١) بالأصل (للموجود المقيدور) هكذا.

الشيء يعطى معرفة صفاته النفسية ومعرفة تلك الذات من كونها كذا يعطى معنى آخر فاعلم ذلك . .

وذلك الامر الآخر المعلوم للذات من كونها « كذا » يوجب حكمًا للذات فيحكم على الذات إذا قام بها علم أنها عالمة .

العلم والعقل

٢٠ـ . . ومعلوم قطعاً أن العلم عند كل ذى عقل سليم معنى من المعانى والمعنى لا يقوم بنفسه فلو كانت ذات البارى تعالى هى العلم لكانت معنى ولطلبت ما يقوم به ولو كان العلم ذات البارى لكان العلم قائمًا بنفسه وهذا يناقض حقيقة العلم . وقد بينا أن الأحدى الذاتى لا يتكثر بما يقوم به من المعانى بالغة ما بلغت ، والحكم للذات فى الاشياء إنما هو لكونها كذا لا لنفسها وذلك المعنى الذى يوجب وهو واحد فلا يوجب إلا واحداً فنقول إن البارى سبحانه من كونه قادرًا عند الإيجاد ، والإيجاد حقيقة واحدة وإن رجعت إلى نفس الموجودين ، والموجودون كثيرون ولا يصدر عنه من كونه مريداً إلا اختصاص الممكن بأحد الجائزين لا غير ، ويكون المخصوصون كثيرين ولا يصدر عنه من كونه عالمًا بهذا الممكن إلا أحكامه ، والمحكومون كثيرون فإذًا فالقدرة واحدة فأعطت حقيقة واحدة (وهو)[1]

---

(١) كذا بالاصل ولعلها (أوهى) .

إيجاد الممكن والإرادة واحدة، واعطت حقيقة اختصاص الممكن بأحد الجائزين والاختصاص معنى واحد والإيجاد معنى واحد وكل ممكن إذا وجد فهو موجود بالقدرة مختص بالإرادة محكم بالعلم فما صدر عنه الواحد إلا واحد فإن وجد واحد من هذه الأعيان الممكنات ولم يوجد منها كثيرون فمن حكم مشيئته سبحانه كما لو وجد منها كثيرون لكن من حكم مشيئته سبحانه فهذا المعنى هو الذى يصح منه قول من يقول لا يصدر عن الواحد إلا واحد فإذا راينا ممكنا قد وقع قلنا وجوده عن كذا واختصاصه عن كذا وقد بينا ان الذات لا تتعدد بما يقوم بها من المعانى فإن الصفة ليست بجزء الموصوف ومن المحال ان يكون لموجود فى الوجود من الموجودات قدرة أو قوة – أى بالاستقلال على إيجاد عين وإبراز موجود إلا الله تعالى – فإن تعلقها بالممكنات لذاتها فلا يخرج عنها مقدور البتة وإن القدرة التى للموجودات لا تأثير لها أى بذاتها إلا بإذن الله تعالى وأن القدرة القديمة التى هى لله تعالى هى التى توجد أفعال الخلق اعلاه وأسفله عند توجه إرادتهم وتعلق قدرتهم بها فلا فاعل إلا هو..

خصائص العقل

٢١– ولهذا لا يتصور ان يعقل احد القدرة بالمقدور لكون

القدرة الحادثة ليس لها تأثير فى الأشياء بالاستقلال وبهذه الصفة يقع الفرق الجلى بين الخلق والمخلوق وهذا المشهد لا يشهده أحد أبداً وهو من الخصائص الإلهية وهو قوله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]، ونعوذ بالله لا أشرك به أحداً..

وهذه الأسباب التى ترى وقوع الفعل عندها ليس كما يتخيله الضعيف العقل ولكن الله تعالى جعلها أسباباً بفعل المسببات عندها، لا هى تفعلها ولا هو سبحانه يفعله بها ولو كان ذلك لكان مضطراً إليها.. وكل ما يؤدى إلى افتقار منه يستحيل عليه الافتقار فهو محال ولكن يفعله عندها ليضل من يشاء ويهدى من يشاء وليظهر عنايته لقوم وخذلانه لقوم آخرين لا كما يقول بعض الضعفة العقل أن حركة اليد حركة الكم وحركة الإصبع حركة الخاتم ولو علم واستنار بنور العقل أن الجسم وكل ما يتحرك أنه لا يتحرك فى الملاء وإنما يتحرك فى الخلاء فلابد أن يكون الجسم أو المتحرك الذى يدعى هذا أنه يحرك بحركة هذا المتحرك إلى حيزه أنه لا يتحرك إلى حيز المتحرك المتولد عنه حتى يفرغ له هذا المحل على زعم أحيازه التى هو فيها فانظر أقرب وجه المساله وما أعمى المخالف عنها والله على كل شىء قدير.

الجواب والخاتمة

٢٢- فإذا تقرر ما ذكرناه وتكلم أحد وتكلمنا على ترتيب نضد العالم وتوقف بعضه على بعض فإنما نتكلم عليه على حسب ما رتبه الله العالم لا على أن ذلك يقتضيه حقيقته وأنه لا يجوز إلا ذلك بل يمكن هذا الترتيب ويمكن خلافه ويمكن أن يوجد الله عالم الأجسام قبل عالم الأرواح كما يقول بعض مخالفى أهل الحق أن النفوس الجزئية متأخرة عن وجود الأجسام والممكن لا يصير واجبًا أبداً لذاته ولا يعقل وجوب شيء إلا لذاته، والوجوب الشرعى لا يزيل الممكن عن حقيقة إمكانه ولو صح أن يصير الممكن واجبًا يقتضيه العقل لاقتضى أيضًا أن يصير الواجب ممكنًا وأدى ذلك إلى بطلان الحقائق ولم يبق بأيدينا علم أصلاً. . فلابد أن يبقى الممكن ممكنًا لأنه لنفسه هو ممكن، والواجب واجبًا لأنه لنفسه هو واجب، والمحال محال لأنه لنفسه هو محال.

فهذا بعض ما أجرى الله تعالى فى الوقت على ضيقه من الجواب فى هذه المسألة وبسطنا القول فيها وكررنا من أجل فهم الناظر فيها فإنه ليس كل فهم يكون له سرعة النفوذ وفهم

الكلام الموجز والله سبحانه ينفعنا بالعلم ويجعلنا من أهله بمنه، لا رب غيره.

تم الجواب والحمد لله الوهاب الجواد المحسن وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

تم بحمد الله تعالى

كتاب:

الدرة البيضاء

محيى الدين بن عربى

الفهرس